Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية
المجلد9،العدد2
2022

المرجعيات النقدية المستعارة عند "عبد الحميد بورايو"

The critical references borrowed by "Abdelhamid Bourayou"

محمد مداور [*(1)]

جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة (الجزائر)

البريد الإلكتروني: midaouar.med@gmail.com

تاريخ الإرسال: 29 / 08 /2022	تاريخ القبول:2022/12/20	تاريخ النشر:2022/12/30

الملخص:

يعدّ عبد الحميد بورايو من الأسماء البارزة التي ظهرت في المشهد النقدي الجزائري المعاصر، وقد اشتغل في بحوثه ودراساته على الإنتاج الأدبي بنوعيه الرسمي والشعبي، وارتبط اسمه بهذا الأخير؛ حيث وجّه أغلب اهتماماته ودراساته إلى جنس السرد، وقد استعان في ذلك بمناهج نقدية مختلفة.

في هذا المقال سنسعى إلى الإجابة عن تساؤلات عديدة يمكن أن تشغل المتأمل للمنجز النقدي لهذا الناقد: ما هي المناهج التي استعان بها عبد الناقد الحميد بورايو؟ وما هي مرجعياتها ومصادرها؟ وكيف تعامل مع المناهج الوافدة ؟ وهل التزم في تطبيقاته ومقارباته للنصوص بمنهج واحد أم أنّه استعان بمناهج مختلفة ؟

الكلمات المفتاحية: المرجعيات، النقد الجزائري، عبد الحميد بورايو، المنهج، الأدب الشعبي.

الملخص باللغة الأجنبية:

Abdelhamid Bourayou is one of the eminent names that have appeared on the contemporary Algerian critical scene, and he has worked in his research and studies on literary production in official and popular forms, and his name has been associated with the latter, as he has oriented most of his interests and studies towards the genre of narrative, and has used different critical approaches to it.

Therefore, in this article we will seek to answer many questions that may occupy the contemplative of the critical realization of this critique: What are the methods used by **Abdelhamid Bourayou**? What are his references and sources? How did he manage the

* المؤلف المرسل: محمد مداور، البريد الإلكتروني: midaouar.med@gmail.com

critical programs he borrowed? Did he adhere to a methodology in his applications and approaches to texts, or did he use different approaches?

Key words: References, Algerian criticism, Abdelhamid Bourayou, curricula, popular literature.

1 . مقدمة:

إنّ تحديد مفهوم المنهج لا يخلو من مزالق، إنّه يحتاج إلى رصيد فكري لمعرفة السياقات الثقافية ومرجعياتها المختلفة التي أنتجت هذا المفهوم، لأنّ المنهج مناهج تتعدّد وتتنوع وكلّ منهج "لابد له من نظرية في الأدب، ونظرية الأدب هذه تطرح أسئلة جوهرية، وتحاول إقامة بناء متكامل للإجابة عن هذه التساؤلات. وأهم هذه الأسئلة هو: ما الأدب؟"[1] وعندما يحاول المنهج الواحد الإجابة عن هذا السؤال فهو يؤسس لنظرية، ويطبّق بآلياته الخاصة ويمارس فعاليته وفق مدونة اصطلاحية خاصة به، فالمنهج يتوسط النظرية والمنظومة الاصطلاحية ويستند إلى ركام معرفي وفلسفي خاص. ويعني مصطلح المنهج – في مجال النقد الأدبي– "مجموع الآليات والإجراءات المتبعة في معاينة نص أدبي ما، سواء أكان نثرا أم شعرا."[2] ويمكننا أن نختزل تاريخ المناهج النقدية وفق مسالكه:

1– مسلك المؤلف الذي يضم المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي وهذا المسلك يطرح سؤاله الأساسي "من كتب النص؟".

2 – مسلك النّص الذي ترسّخ مع النقد البنيوي وسؤاله الأساسي: "كيف قال النّص ما قاله"؟

3– مسلك القارئ أو المتلقي (ما بعد البنيوية) وسؤاله "كيف نقرأ النص"؟

ولقد اعتمد الباحث سامي سويدان في تقسيمه للمناهج على الداخل النصي والخارج النصي.[3]. أمّا الناقد صلاح فضل فيقترح علينا التقسيم التاريخي الزمني ويقول أولا بمنظومة المناهج التاريخية وفيها أورد:

– المنهج التاريخي، المنهج الاجتماعي، المنهج النفسي والأنثروبولوجي.

وثانيا منظومة المناهج الحداثية وفيها:

– المنهج الأسلوبي، المنهج السيمولوجي، التفكيكية، نظريات التلقي والقراءة والتأويل، علم النص.
ويختصر هذا في قوله: "يتمثل بصفة عامة الشكل الكلي للمناهج النقدية ويتجسد في منظومتين:

– **المنظومة الأولى:** وهي المنظومة التاريخية بتجلياتها المتعددة ولا تضمّ نظرية واحدة في الأدب، وإنما تضمّ نظريات ومناهج عديدة.

– **المنظومة الثانية:** وهي منظومة البنيوية وما بعدها. وهذا هو المدخل نستعرض منه خارطة المناهج النقدية"[4].

وكلّ هذه المناهج نتاجات للآخر (الغرب). فقد تأسّست في مناخ خاص ووفق مرجعيات فلسفية وفكرية مرتبطة بالذات الغربية. والسؤال المطروح هنا: كيف تعامل الناقد الجزائري عبد الحميد بورايو مع هذه المناهج المختلفة ؟ وكيف تجلت في دراساته وأبحاثه؟

وقف "عبد الحميد بورايو" عند مفهوم المنهج معرّفا إياه بأنّه مجموعة من "الوسائل والإجراءات التي تمكّن من السيطرة على مادة معينة، وفحصها فحصا دقيقا، ومعرفة حقيقتها والكشف عنها."[5] وقد حاول الإفادة من المناهج النقدية الغربية على اختلاف مصادرها ومرجعياتها، إذ تبنّى النقد السوسيولوجي مرحلة لا بأس بها، ثم انتقل إلى منهج مفارق لهذا المنهج وهو المنهج الشكلاني بما فيه السيميائية والبنيوية.[6]

2. تطبيقات المنهج الأنتروبولوجي الاجتماعي عند الناقد عبد الحميد بورايو:

لقد استفاد هذا المنهج من إنجازات علم الاجتماع ونظرياته، فالنقد الاجتماعي يحاول أن يفسّر نوعيا كيف أن الكتابة حدثٌ ذو طبيعة اجتماعية.[7] فهذا المنهج يدرس "تأثير الجماعة في القيمة الجمالية، بل ويُعلي من قيمة كاتب ما، لأنّ عمله شفّ جيدا عن عروق المجتمع"[8]، ويتجلى تطبيق هذا المنهج من خلال الفصل الأول من الدراسة التي أنجزها الناقد "عبد الحميد بورايو" والمعنونة بـ "القصص الشعبي في منطقة بسكرة"[9]، وقد تطرّق في الفصل الأول منها إلى المباحث الآتية:[10]

- مقدمة شملت الجهود السّابقة في دراسة القصص الشعبي الجزائري.
- مجتمع القص.
- الرواة.
- مناسبات القص
- استجابة الناس للقص.
- وظيفة القص.

تتعلّق هذه العناصر بالمعطى الحضاري الثقافي والاجتماعي، فهذه الدراسة وصف لظروف تداول القص في المجتمع البسكري، وهي نتاج العمل الميداني، الأمر الذي يجعلها تتموضع ضمن حقل الأنتروبولوجيا من جهة، وضمن النقد الاجتماعي أو السوسيولوجي من جهة أخرى.

تبنّى الباحث عبد الحميد بورايو النقد السوسيولوجي مرحلة من الزمن، ثم انتقل إلى منهج مفارق لهذا المنهج وهو الشكلاني بما فيه السيميائية والبنوية. يقول مبررا هذا الاختيار المنهجي: "لقد كان وراء عنايتي بالنقد السوسيولوجي في بداية اهتماماتي البحثية قناعاتي الإيديولوجية ذات التوجه اليساري، وكان المحيط الذي تكونا فيه خلال السبعينيات يعرف انتشارا لهذه القناعات لأسباب متعددة يطول شرحها".[11] فالسياق التاريخي الذي عاش فيه الناقد (الظروف المحيطة)، والقناعات الإيديولوجية هي التي دفعته إلى هذا الاختيار المنهجي.

3 . تطبيقات المنهج الأنتروبولوجي البنيوي واستعارة النموذج الوظائفي:

يعتمد هذا المنهج على إنجازات "كلود ليفي ستراوس (Claude Lévi-Strauss)؛ و"فلاديمير بروب (Vladimir Propp)، والتي وجدت اهتماما عند الناقد "عبد الحميد بورايو"، ويتجلى ذلك من خلال بحثه الموسوم بـ "الحكايات الخرافية للمغرب العربي- دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكيات"- 1992. فهو عبارة عن دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات كما يؤشر العنوان الفرعي، تحاول أن تستكشف دلالة خمس حكايات خرافية مغاربية عن طريق تحليل شكلها وبيان مسار انبثاق معناها، وقد حاولت أن تلتزم بمنهجية مستمدة من منجزات الدراسات السردية الحديثة المرتكزة على البحوث الشكلانية والبنيوية والإناسية (الأنتروبولوجية)، مراعية خصوصية المادة موضوع الدراسة، وكاشفة عن علاقتها بالمحيط الثقافي الذي أنتجها وتداولها.[12]

ينتقل بنا الباحث بعد تحديد منهج الدراسة إلى عرض اختياره المنهجي من أجل الكشف عن دلالات حكايات المتن المدروس، مخبرا إيانا بأنّه اعتمد في تحليله للحكايات على قراءة مزدوجة "الأولى ذات منحى خطي، تضع في اعتبارها التسلسل السردي، تراعي وضع العلاقات الحاضرة في السياق، أمّا الثانية فتعمل على استخراج علاقات التّضاد الكامنة، المستنتجة من العلاقات الغائبة عن السياق، وتسمح لنا هذه الخطوة المنهجية بالانتقال من تحليل الأشكال السردية إلى معالجة المضامين. أي من الدراسة الشكلية إلى الدراسة الدلالية. سيكون المنطلق هنا نظرتنا للمادة الحكائية باعتبارها تتابعا للأحداث على مستوى مظهر الخطاب القصصي. وهو ما يفتح السبيل لمستوى آخر، وهو مستوى الرسالة (المبثوثة) أو

المعنى العميق، والذي يؤدي بنا بدوره إلى استخراج العلاقات المفترضة فيما بين الحكايات نفسها، وكذلك ما بينها والمجتمع الذي تداولت فيه."[13]

ويضيف الباحث عبد الحميد بورايو: "تأخذ دراستنا في حسبانها البحث الشكلاني والبنائي الذي أنجز في هذا المجال، والذي تعود ريادته لفلاديمير بروب وكلود ليفي ستروس، وتمت متابعته وتطويره من طرف من جاء بعدهما من الباحثين من أمثال كلود بروموند (Claude Bremond) و أ. ج. جريماس (A.J.Greimas) وجوزيف كورتيس (Joseph Courtès) وآخرين."[14]

انطلاقا من مقولات هذه المناهج الغربية المتعددة ذات المرجعيات المختلفة والتي استعارها بورايو، يخبرنا الناقد أنه سيعمد في تحليله للنصوص، إلى تقطيعها إلى متواليات، وهذه إلى وظائف، ويتوقف عند عنوان ثان في هذا المدخل هو المتواليات والوظائف، من أجل شرح المقصود بهما، ووظيفتيهما البنيوية. وفي علاقة بهما، يثير بعض الملاحظات حول (الوساطة) و(تصنيف الوظائف) و(نظام الشخوص) و(دلالة الحكايات)، مع التأكيد على أن تتمّ دراسة الشخوص في علاقتهم فيما بينهم، وذلك بمقصديّة تتوخّى الاستخراج التدريجي للترتيب المنبثقة على أساسه الأدوار الغرضية والفاعلية، مستعينا في النهاية بالتحليل المقارن بين النصوص المدروسة، تأسيسا على فرضية تقول: "لا يمكن أن يعطي أي خطاب معزول معناه الكلي. وبالتالي تصبح المواجهة المنهجية بين الخطابات المتوفرة وحدها القادرة على مدنا بجميع الدلالات التي تحملها كل حكاية"[15]

يتضّح لنا من تصريحات الباحث، ومن خلال المفاهيم والآليات الإجرائية المعتمدة في الدراسة أنّ المؤلف يجمع بين أطراف منهجية متفرقة (مورفولوجية بروب . بنيوية ستراوس الأنتروبولوجية . سيميائيات جريماس...)، بل إنّنا في بعض مراحل التحليل نجد أن المؤلف/ الناقد كاد ينتقل من حقل الأدب إلى حقل الأنتروبولوجيا. ولعلّ هذه السمة الأخيرة هي التي جعلتنا نصنّف هذه الدراسة ضمن حقل الأنتروبولوجيا البنيوية.

وما يلاحظ منهجيا على هذه الدراسة، هو أن الباحث كان وفيّا لكل الخطوات التي وعد بها منهجيا في المدخل النظري، مستعينا بالجداول والخطاطات الموضحة، بل إنّه التزم في بداية تحليله لكلّ حكاية على حدة، بتصديرها بالخطة المتبعة في التعامل معها. إنّها دقة تنمّ عن تمثل نظري للمنهج المتبع، وتحكّم في آلياته الإجرائية من الناحية التطبيقية.

لم يتوقف الناقد في تطبيقه الإجرائي للمنهج الشّكلاني (المورفولوجي)، عند تعيين الوظائف في الحكايات كما فعلت مثلا الباحثة "نبيلة إبراهيم" في كتابها (قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية)، وأيضا "داود سلمان الشويلي" في بحثه (القصص الشعبي العراقي في ضوء المنهج المورفولوجي، (المقدم إلى الندوة العربية للفولكلور ببغداد 1. 10 مارس 1977)[16]؛ بل تجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة متقدّمة، تفتح النص من خلال رصد الوظائف، على التاريخ والمجتمع والحياة، من أجل استكشاف الدلالات العميقة والبعيدة.

تعدّ هذه الدراسة–إذن– دراسة مهمّة ورائدة في مجالها بالنظر إلى الفترة الزمنية التي ظهرت فيها، فقد سعى الناقد من خلال التطبيق المنهجي لمقولات الشكلانية بمرجعياتها المختلفة إلى الإجابة عن مختلف الإشكاليات التي يطرحها موضوع الدراسة، وإذا نظرنا إلى النتاج المتحققة من الدراسة فإنه يتبيّن لنا مدى قيمتها المعرفية. إنّها دراسة تنمّ عن دقّة ووضوح منهجي وتمثل لآلياته المنهج الإجرائية وجهازه الاصطلاحي، فهي بذلك تعتبر إضافة جادة ونوعية إلى مكتبة الدراسات الأدبية الشعبية العربية.

4. تطبيقات المنهج البنيوي التكويني في منجز "بورايو" النقدي:

لقد حظيت البنيوية– بمختلف اتجاهاتها– باهتمام ملحوظ في الخطاب النقدي العربي، غير أن اتجاه البنيوية التكوينية قد وجد الكثير من الاهتمام المبكر نسبيا،[17] وتسعى البنيوية التكوينية "إلى إعادة الاعتبار للعمل الأدبي والفكري في خصوصية بدون أن تفصله عن علائقه بالمجتمع والتاريخ، وعن جدلية التفاعل الكامنة وراء استمرار الحياة وتجددها."[18] لكن "المنهج البنيوي التكويني لا يلغي الفني لحساب الإيديولوجي ولا يؤله باسم فرادة متمنّعة عن التحليل."[19]

وإذا تأملنا الخطاب النقدي عند الناقد الجزائري "عبد الحميد بورايو" سنجد أنّ معالم هذا الاتجاه واضحة في دراساته التالية: القصص الشعبي في منطقة بسكرة 1986. الحكايات الخرافية للمغرب العربي 1992. كما نجد للناقد بعض ملامح هذا الاتجاة واضحة في بعض المقالات النقدية المنشورة ضمن كتابيه: منطق السرد والبطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري.[20]

تعدّ دراسته "القصص الشعبي في منطقة بسكرة" أوّل محاولة نقدية تطبيقية تعلن صراحة انتماءها إلى المنهج البنيوي التكويني، إذ حلّل الباحث نصوصا أدبية "للكشف عن البنية التركيبية لنموذج من كل نمط قصصي... ثم يبيّن علاقة هذه البنية بالبنية الأمّ التي تولّدت عنها، وهي البنية الاجتماعية، مستعينا

في ذلك بمنهج البنيوية".[21] وقد استهل الناقد دراسته التطبيقية بتحديد منهجه؛ حيث يقوم على "المفهوم الذي يرى في النشاط الفني تحقّقا لإمكانيات كامنة تعبّر عن نفسها من خلال مختلف أشكال التعبير وبالتالي يرى في النص الأدبي مظهرا لبنية كامنة."[22] ويمكن إيجاز خطوات التحليل التي اتبعها وفق ما يأتي:[23]

– رد القصة إلى وحداتها الأساسية واستقراء طبيعة علاقاتها على مختلف المستويات المورفولوجية والتركيبية والدلالية بالاعتماد على مبد التشابه والاختلاف بين العناصر، ينتج عن ذلك استنباط النماذج التي تخضع لها البنية القصصية في مستوياتها المختلفة.

– رصد علاقات وحدات القصة وفق: المستوى التركيبي والمستوى الاستبدالي، وهو ما يعرف في البنيوية بعلاقات الحضور والغياب.[24]

– الاستعانة برسوم توضيحية لتسجيل النماذج البنائية للوحدات القصصية.

– إرجاع النّص إلى أقسامه السياقية الكبرى (الاستهلال– البداية– المتن– النهاية– الخاتمة).

– تلخيص أحداث القصة بغرض حصر وحداتها الوظيفية.

– إدراج القصّة أو إدخالها في بنيتها الكبرى.

يتضح لنا من خلال هذه الخطوات الإجرائية، أنّ هذه الدراسة تنتمي منهجيا إلى البنيوية التكوينية؛ حيث كان الناقد يسعى إلى تحديد البنية السردية للقصص محدّدا خصائصها ونظامها والعلاقات المتحكمة فيه، ثم يقوم بعد ذلك بإدراج القصة في بنيتها الكبرى[25].

ما يدعم هذا الحكم هو حديث الناقد عن مستويات الدراسة البنيوية التكوينية المتمثلة في الفهم والتفسير الذي يسمّيه الشرح، ورؤية العالم. يقول: نعني بشرح النص إدماج البنية الدالة في بنية أكبر منها،[26] وذلك في محاولة "للكشف عن رؤية الجماعة الشعبية التي صدر عنها النّص للعالم الذي تعيش فيه..."[27]. "ورؤية العالم "هي أحد المفاهيم الأساسية التي جاء بها "لوسيان غولدمان" (Goldmann Lucien) رائد البنيوية التكوينية، وتقوم على أن النّص الأدبي يشتمل على رؤية للعالم الخارجي يبحث عنها الناقد، ولكن "لا ينبغي له أن يكتفي بالوصول على تحديد هذه الرؤية، بل عليه أن يدرس الأسباب

الشخصية والفنية التي جعلت التعبير عن هذه الرؤية يتم بتلك الطريقة بالذات دون سواها من وسائل التعبير..."[28]

أظهرت هذه الدراسة بشكل جلي إفادة الناقد من منهج البنيوية التكوينية، بالرغم من أنّنا لا نجد في قائمة المصادر والمراجع أي مؤلَّف من مؤلّفات "لوسيان غولدمان" بجانب مؤلفات كبار البنيويين والشكلانيين الذين اعتمد عليهم الناقد شأن: تزفيتان تودوروف، رولان بارت، غريماس، جيرار جنيت، فلاديمير بروب. هذا الأخير الذي استمد منه نموذجه الوظائفي وطبّقه لاستخراج الوظائف التي تحكم البناء الحكائي في النماذج المدروسة. وقد بدا الناقد واعيا في تطبيق هذا النموذج على القصص المدروسة، حيث كان عدد الوظائف وتحديدها يجنح إلى النص وما يحمله لا إلى البحث عن الإحدى والثلاثين وظيفة في الحكايات، فقدّ حدد الناقد عدد الوظائف في قصة غزوة الخندق مثلا بـ11 وظيفة، وفي قصة ولد المحقورة بـ 14 وظيفة.[29]

وبعد دراسته الحيزين المكاني والزماني للقصة وزاوية النظر أو التبئير، يضع الناقد هذه القصص في بنيتها الاجتماعية معتمدا على مبدأ التعارضات الثنائية، وعلى الكثير من الجداول والرسوم والأشكال الرياضية، بحيث يقدّم الباحث بعض المدلولات الاجتماعية التي جاءت القصص لإبرازها، مبيّنا موقع الصراعات الاجتماعية من أحداثها وشخصياته.[30] وما يلاحظ على هذه الدراسة المبكرة أنها سلمت من النظرة التجزيئية للنص، وهو ما يدلّ على إلمام الباحث بالأدوات الإجرائية للبنيوية وتمثله لها، مما يجعلها مقاربة بنيوية تكوينية بامتياز، يمكن أن تمثّل بذلك إضافة نوعية للخطاب النقدي الجزائري والعربي.

5 . السيميائية، تجليات التطبيق وقضايا ترجمة المصطلح:

1.5 تطبيقات المنهج السيميائي عند عبد الحميد بورايو:

انتقلت السيميائية من مهدها الغربي إلى الوطن العربي في وقت متأخر نسبيا بالمقارنة مع البنيوية. فهرع إليها النقاد العرب، وقد تأسست لدراستها جمعيات على غرار رابطة السيميائيين الجزائريين (ماي 1998) التي ترأسها عبد الحميد بورايو.* وتهدف هذه الجمعية إلى لمّ شمل السيميائيين الجزائريين، والتعريف بالممارسات السيميائية وترقيتها عن طريق الترجمة والنشر.

قدّم "عبد الحميد بورايو" محاولات نقدية عديدة تعتمد على مقولات المنهج السيميائي نشرها في المجلات الوطنية، ومنها دراسته السيميائية لحكاية "الحمامة المطوقة" المنشورة بمجلة اللغة والأدب،[31] بالإضافة إلى كتاب التحليل السميائي للخطاب السردي،[32] وكتاب "المسار السردي وتنظيم المحتوى"[33]

و"منطق السرد"[34]، هذا الأخير الذي اقتصر نصيب السيميائية فيه على الفصل المخصّص للمكان والزمان في الرواية الجزائرية.

وقد تعرّض فيه الباحث إلى دراسة سيميائية لقصة من دفاتر الطفولة لعلي بوكحال محاولا تطبيق المنهج السيميائي، حيث قسم فيها النص اعتمادا على «اختلاف طبيعة الملفوظات»[35] والملفوظات هي «وحدات المعنى المباشر المراد توصيله»،[36] ليباشر دراستها بالاعتماد على تنظيرات "غريماس" وكذا النموذج الوظائفي لـ"فلاديمير بروب"، حيث يحدّد الوظائف التي تحكم بنية القصة بسبع وظائف. ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الشكل السردي للقصة، أين يتعرض إلى الوسائل التعبيرية التي تستعين بها القصة في أدائها الملفوظات السابق ذكرها وهي في تمثله ثلاثة:

(الصيغة – الصور – الذاكرة والكتابة وحدود المكان).

وما يختلف فيه الناقد "بورايو" عن "رشيد ن مالك "في النقد السيميائي هو كونه لا يعتد كثيرا بالتطبيق الصارم للقواعد السيميائية على النّص، بل كثيرا ما يحتكم إلى النص في تحليله بحيث يظهر تركيبه بين المناهج على النحو الذي نجده على سبيل المثال عند االناقد "عبد المالك مرتاض"[37]

وما يمكن ملاحظته على الدراسات السيميائية التي قدمها الدكتور "بورايو" أنّها لم تكن خالصة الانتماء إلى تفاصيل التّحليل السيميائي خاصّة إذا تعلق الأمر بالأدب الشعبي، إذ نجد أنّ الناقد لا يقول بإقصاء السياق من الدراسة بل يرى أن الدراسة يجب أن تأخذ في الاعتبار ما يتعلق بالمحيط الخارجي للنصوص، ويرى تبعا لذلك أن مفهوم الخطاب الأدبي "يهدف... إلى تجاوز الإشكالية التي طرحها مفهوم النّص، من خلال التحليلات التي حبست نفسها في نطاق العلاقات البنيوية الداخلية للأثر الأدبي..."[38] وهذا يعنى أن الناقد لا يرى بقصر الدراسة النقدية على داخل النص الأدبي بقدر ما يحاول إضفاء بعض التوازن بين داخل النص وخارجه في رؤيته النقدية، وقد كنا رأينا – فيما سبق– إفادته من البنيوية التكوينية.

هذه الرؤية النقدية جعلت الناقد يرى أن المناهج التقليدية التي "حاولت الدراسات البنيوية والشكلانية والتحليلات النصية أن تقصيها... عادت من جديد لتدخل في نطاق مفهوم الخطاب الأدبي، لكن من خلال فعاليتها، وأدوارها المتحركة، وفي مستوياتها المختلفة، لا من خلال ثبات المفاهيم المتعلقة بها"[39]، أي أنّه يقرّ بضرورة التفات الناقد إلى مختلف السياقات التي يمكن أن تشكل أداة لفهم النص والإبداع ككل.

غير أن هذا الازدواج المنهجي، لا نجد له حضورا في أعمال أخرى للناقد، حيث ظهر التزامه بالإجراءات المنهجية التي أقرتها النظرية السيمائية مثلما هو الحال في مجموعة المقالات التي تضمنها كتابه "التحليل السيميائي للخطاب السردي"، إذ نجد خلالها التزاما من الناقد بالتحليل النصي/ النسقي لحكايات ألف ليلة وليلة[40]، التي درس مجموعة منها وفق إجراءات وثيقة الصلة بالمفاهيم النقدية المعاصرة.

2.5 المصطلح السيميائي السردي عند عبد الحميد بورايو:

عرف الخطاب النقدي العربي عموما والسيميائي خصوصا اضطرابا مصطلحيا، نتج عن عدم وجود لقاءات وحوارات يمكن أن تسمح للنقاد والمترجمين بتبادل الآراء وتقريب وجهات النظر، الأمر الذي من شأنه أن يساعد على توحيد المصطلحات. وفي الجزائر، حاول الدكتور عبد الحميد بورايو الاستفادة من الملتقيات المتخصّصة من خلال عقد حوارات مع باحثين آخرين في مجال السيميائيات نذكر من هؤلاء رشيد بن مالك والسعيد بوطاجين، وذلك من أجل توحيد المصطلحات السيميائية.

اهتم الباحث بتحديد مفهوم بعض المصطلحات، ومن ذلك شرحه لمصطلح **النص** في قوله "نعني بشرح النص إدماج بنيته الدالة في بنية أكبر منها تلقي الضوء على كيفية تولد هذه البنية الدالة، ويُعنى هذا الشرح بالواقع الخارجي متجاوزا بذلك النص الخاضع للتحليل، عن طريق أبنية متشابهة، توجد في وعي جمهور القص."[41]

خصّص الباحث أيضا، قسما للمقاربات حول الرواية الجزائرية (باللغة العربية) بحث فيه القضايا التى تحملها بعض المصطلحات مثل: **الروح الملحمية** في مقاربة رواية التفكيك لرشيد بوجدرة، ومصطلحات **المكان والزمان** في قصص الجازية والدراويش، ومصطلح **حيزّ النص** في تحليل رواية نوار اللوز لواسيني الأعرج، ومصطلح **انبثاق المعنى** في مقاربته لرواية رائحة الكلب لجيلالي خلاّص.

كذلك نجده يوظف العديد من المصطلحات، التي تنتمي إلى البنيوية الغولدمانية، والتي تحفل بالحياة الاجتماعية، والمؤثرات الخارجية مثل مصطلحات: **الوعي – رؤية العالم –الفهم**، والتى نلمس من خلالها تأثره بالطرح التكويني للمفاهيم السردية.

وقد ميّز بورايو بين مصطلح: **الحيز النصي (الفضاء النصي)*** الذي اشتهر به ميشال بوتور (Michel butor)، ويمس شكلية الرواية من حيث الترتيب وتقسيمات الفصول والعناوين، و**الحيز المكاني** الذي يشمل الأماكن العينية المحسوسة أو المتخيلة، وهذا كطرح مهم ومغري للدراسة.

يتضح لنا أيضا من تحليلات "بورايو" المختلفة أنه وسّع من مفهوم مصطلح **وظيفة** عند "بروب" ليشمل أحد مشكّلات المسار السردي للقصة، وهو **السيرورة التنظيمية**، التي تفعّل البنيات العميقة للقصة، مع أنّه قصر تحليله على مصطلحي **الوظيفة** و**الحافز**، ومصطلح **المقطع**، الذي شرحه بالتآلف الوظيفي المتعدد والممنطق.

وفي الأخير ينبغي أن نشير إلى ترجمة المصطلح النقدي التي تكتسي عملية بالغة، وقد اجتهد بورايو في ترجمة بعض المصطلحات السيميائية، وقد اختلف في ترجمتها أحيانا مع نقاد جزائريين وفي مقدّمتهم رشيد بن مالك، وفي الجدول التالي مقارنة لترجمة بعض المصطلحات السيميائية عند الناقدين:

– جدول للمقارنة بين ترجمة كلّ من "عبد الحميد بورايو" و"رشيد بن مالك" لأهم مصطلحات السيميائية:

المصطلح	ترجمة عبد الحميد بورايو	ترجمة رشيد بن مالك
Séquence	متتالية	مقطوعة
Actant	فاعل	عامل
Sujet de faire	ذات الفاعل	ذات الفعل
Destinateur	مرسل	مرسل
Thématique	غرضي	موضوعاتي–تيمي
Isotopie	قطب دلالي	نظيرة إيزوطوبيا
Manipulation	تحريك–دفع تفعيل–إيعاز	استعمال–تحريك إيعاز–تفعيل
Modalité	صيغة	جهة–كيفية

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن ترجمة " عبد الحميد بورايو" لا تختلف كثيرا عن ترجمة الناقد الجزائري رشيد بن مالك، ولعلّ هذا التقارب ناتج عن اللقاءات والحوارات التي كانت تجمع بين الباحثين، والتواصل القائم بينهما في إطار "رابطة السيميائيين الجزائريين". وقد كان بورايو ذاته يدعو في مختلف الندوات العلمية إلى ضرورة إيجاد آليات لتوحيد ترجمة المصطلحات النقدية للارتقاء بالخطاب النقدي العربي.

6. خاتمة:

نستنتج مما سبق أنّ الناقد الجزائري "عبد الحميد بورايو" قد أفاد في دراساته من مناهج نقدية ذات مرجعيات مختلفة: المنهج الاجتماعي والأنتروبولوجي والنفسي إلى المنهج الشكلاني والبنيوي والسميائي، حيث لم يلتزم في تطبيقاته على النصوص بمنهج واحد، بل كان يلجأ في أغلب الأحيان إلى التركيب بين المناهج النسقية والسياقية (التركيب المنهجي)، ولعلّ هذا الانفتاح على المناهج المختلفة راجع إلى قناعاته الشخصية، وربما إلى تأثّره بأستاذه "كلود بريموند" الذي كان بنيويا منفتحا على الجانتب الاجتماعي، حذرا متوجّسا من الشّكلانية. وإن كانت هذه المناهج التي استعارها الناقد ذات مرجعيات غربية إلّا أن بورايو قد كان على وعي بهذه الإشكالية، حيث يحاول في تحليله أن يراعي خصوصية النص المدروس، وكذا خصوصية الثقافة العربية التي تختلف عن الثقافة الغربية التي نشأت فيها تلك المناهج.

درس "عبد الحميد بورايو" في فرنسا ما بين 1984 و1987، وكان يحضر الدروس التي كان يلقيها "كلود بريموند" في معهد الدراسات التطبيقية بباريس، كما استفاد من بعض الدروس التي كان يلقيها "كورتيس" صديق "غريماس" بنفس المكان، هذه المصادر والمرجعيات المختلفة والتوجّهات التي استقى منها بورايو معارفه النقدية وأدواته المنهجية جعلته ينحو منحى خاصا في التأليف والتركيب بين المناهج. لقد كان "بورايو" يبحث عن الجانب المنهجي في تحليل النصوص، واهتم بالتطبيق على النصوص أكثر من التنظير، وكان هدفه تعليميا بالدرجة الأولى، أي أنّه حاول إنارة الطريق أمام الطلبة والباحثين العرب لمعرفة هذه المناهج الحديثة.[42]

لقد ساهم الناقد "عبد الحميد بورايو" إلى حد كبير في تعزيز وإثراء المشهد النقدي الجزائري والعربي، وقد كان له السبق من خلال تطبيق المناهج النقدية المعاصرة على النص السردي الشعبي، في محاولة جادة منه للاهتمام بهذا الجانب الهام من تراثنا الجزائري والعربي والتعريف به.

7. الهوامش:

[1] – صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، المغرب، 2002، ص11

– حمزة بسو: آليات التحليل النقدي عند عبد الحميد بورايو، رسالة ماجستير، (مخطوط)، جامعة سطيف2، 2013/2012 ، ص27.[2]

[3] – سامي سويدان: في النص الشعري العربي، دار الآداب، بيروت، ط1، 1989، ص21.

[4] – صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص17، 18.

[5] – عبد الحميد بورايو: منطق السرد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص9

[6] – ينظر: علي ملاحي، حوار مع عبد الحميد بورايو، موقع المكتبة على الرابط الإلكتروني:

http://www. almaktabah.net /vb/showthread.php?t=32501، تاريخ الزيارة: 15/ 09/ 2014م.

[7] – إنريك أندرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، تر: الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة، د/ط، 1991، ص117.

[8] – المرجع نفسه، ص 118.

[9] – عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة– دراسة ميدانية–، صدر سنة 1986، وقد اعتمدنا في هذا البحث على طبعة وزارة الثقافة (الجزائر عاصمة الثقافة العربية)، 2007.

[10] – المصدر نفسه، ص9– 59

[11] – ينظر: علي ملاحي، حوار مع عبد الحميد بورايو، موقع: http: almaktabah. net

[12] – ينظر: عبد الحميد بورايو، "الحكايات الخرافية للمغرب العربي؛ دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات"، وزارة الثقافة، الجزائر، د/ط، 2007، ص13.

[13] –المصدر نفسه، ص15.

[14] – المصدر نفسه ، ص15.

[15] – المصدر نفسه، ص20.

[16] – داود سلمان الشويلي: القصص الشعبي العراقي في ضوء المنهج المورفولوجي، مجلة التراث الشعبي، ع 2، السنة8، بغداد، 1977، ص147–190. وقد أعاد الباحث نشر هذه الدراسة في كتاب يحمل العنوان نفسه عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة 1986 مع إضافة بعض النصوص.

– سعد البازعي: استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د/ط، 2004، ص174.[17]

– لوسيان غولدمان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط2، 1986، ص 7[18]

– المرجع نفسه، ص. 7[19]

– صدر هذا الكتاب عن ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996. [20]

– عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص6.[21]

– المصدر نفسه، ص137.[22]

– ينظر: المصدر نفسه، ص137–139.[23]

– صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د/ط، 1983، ص306.[24]

– ينظر: محمد مكاكي: التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة، دار جليس الزمان ، عمّان، 2014 ، ط1، ص114.[25]

[26] – ينظر: عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص197.

– المصدر نفسه، ص197.[27]

– صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1980، ص241.[28]

– ينظر: عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 143– 203[29]

– محمد مكاكي: التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة، ص116.[30]

علمت من الأستاذ الباحث "عبد الحميد بوراي"و أنّ هذه الرابطة كانت مشروعا ولم توجد فعليا على أرض الواقع، لأن الرابطة لم تحصل على الاعتماد والترخيص من وزارة الداخلية، غير أن بعض المنخرطين فيها ظلّ يتحدث باسمها في مختلف المحافل الأكاديمية والثقافية.*

– عبد الحميد بورايو: نص حكاية الحيوان، مقاربة سيميائية بنوية "الحمامة المطوقة " نموذجا، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد14، 1999، ص (187– 203).[31]

– عبد الحميد بورايو: التحليل السيميائي للخطاب السردي، دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ، دار الغرب، وهران، الجزائر، د/ط، 2003.[32]

– عبد الحميد بورايو: المسار السردي وتنظيم المحتوى– دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، دار السبيل، الجزائر، د/ط، 2009.[33]

– عبد الحميد بورايو: منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، منشورات السهل، الجزائر، د/ط، 2009.[34]

– ينظر: المصدر نفسه، ص 84[35]

– ينظر: المصدر نفسه، ص 84[36]

– محمد مكاكي: التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة، ص 185.[37]

– عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د/ط، ص87،88.[38]

– المصدر نفسه، ص88.[39]

– عبد الحميد بورايو: التحليل السميائي للخطاب السردي، مرجع سبق ذكره.[40]

– عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص197. [41]

هو ما تعلق بفضاء النص مثل تقسيم الرواية إلى فصول، وانتشار الكتابة على الصفحات وهو فضاء عادي متناسق مع الفضاء الروائي.*

– من مقابلة مع الناقد عبد الحميد بورايو بتاريخ: 07/09/ 2014[42]

8. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1. إمبرت إنريك أندرسون، تر: الطاهر أحمد مكي، (1991)، مناهج النقد الأدبي، القاهرة، مكتبة الآداب.

2. البازعي سعد، (2004)، استقبال الآخر: الغرب في النقد العربي الحديث، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

3. بورايو عبد الحميد، (1994)، منطق السرد، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

4. بورايو عبد الحميد، (1998)، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

5. بورايو عبد الحميد، (2003)، التحليل السيميائي للخطاب السردي، دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، وهران، دار الغرب.

6. بورايو عبد الحميد، (2007)، "الحكايات الخرافية للمغرب العربي؛ دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات"، الجزائر، وزارة الثقافة.

7. بورايو عبد الحميد، (2007)، القصص الشعبي في منطقة بسكرة– دراسة ميدانية–، الجزائر، وزارة الثقافة.

8. بورايو عبد الحميد، (2009)، المسار السردي وتنظيم المحتوى– دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، الجزائر، دار السبيل.

9. بورايو عبد الحميد، (2009)، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، الجزائر، منشورات السهل.

10. سويدان سامي، (1989)، في النص الشعري العربي، بيروت، دار الآداب.

11. الشويلي داود سلمان، (1986)، القصص الشعبي العراقي في ضوء المنهج المورفولوجي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

12. غولدمان لوسيان وآخرون، تر: محمد سبيلا، (1986)، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت. غولدمان

13. فضل صلاح، (1980)، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، القاهرة، دار المعارف.

14. فضل صلاح، (1983)، نظرية البنائية في النقد الأدبي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

15. فضل صلاح، (2002)، مناهج النقد المعاصر، المغرب، إفريقيا الشرق،

16. مكاكي محمد، (2014)، التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة، عَمّان، دار جليس الزمان.

- **الأطروحات:**

- بسو حمزة: آليات التحليل النقدي عند عبد الحميد بورايو، رسالة ماجستير، (2013)، جامعة سطيف2، الجزائر.

- **المقالات:**

- بورايو عبد الحميد: نص حكاية الحيوان، مقاربة سيميائية بنوية "الحمامة المطوقة " نموذجا، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد14، 1999، ص (187- 203).

- **مواقع الانترنيت:**

- ملاحي علي: حوار مع عبد الحميد بورايو، (تاريخ الزيارة: 15/ 09/ 2014) http://www. almaktabah.net /vb/showthread.php?t=32501